ما البلاغة العربية؟

محمد فنان

باحث في البلاغة وتداوليات الخطاب وفلسفة اللغة

المغرب

ملخص:

يدرس هذا البحث تحولات مفهوم البلاغة في التراث العربي انطلاقا من الاستفادة من التعريفات التي وضعها علماء البلاغة على مدار تاريخها. يعد هذا المقال محاولة لإعادة ترتيب تاريخ البلاغة انطلاقا من الأنساق المعرفية التي تحكمت في بنائها، نظرا وإجراء، عبر استثمار تصورات القدماء للدرس البلاغي، وفهمهم لمكوناتها المرجعية والإجرائية.

كلمات مفتاحية: البلاغة – التصورات – المفهوم – الذهنيات - الأنساق المعرفية.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

فنان، محمد. (2024، دجنبر). ما البلاغة العربية؟. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 9 (الجزء 2)، السنة الأولى، ص 361-378.

Abstract:

This research studies the transformations of the concept of rhetoric in the Arab heritage, based on the benefit of the definitions set by rhetoric scholars throughout its history. After this article, there is an attempt to rearrange the history of rhetoric based on the cognitive systems that controlled its construction, in theory and procedure, by investing the ancients’ perceptions of the rhetorical lesson, and their understanding of its referential and procedural components.

مقدمة

سبق لهذا السؤال أن طرح من قبلُ في صيغ تتراوح بين محاولات التعريف والتحديد، وبين السعي إلى تعميق قراءتها(البلاغة) مفهوميا، وبما يتصل بمقتضيات فهمها. هكذا، كان النظر النقدي الحديث، كما هو الحال مع رواد النهضة العربية[1]، وبعض اللسانيين[2]، والمعاصر كمثل ما جاء عند شوقي ضيف[3]، وحمادي صمود[4]، ومحمد العمري[5]، وغيرهم، مشغولا بوضع تصور واضح المعالم لمفهوم البلاغة، يسمح بإدراكها في مستواها المجرد والمتعالي، والوصول إليها في الممارسات

[1] نركز هنا على محاولات حسن المرصفي كما يلخصها كتاب الوسيلة الأدبية للعلوم العربية، وسلامة موسى في البلاغة العصرية واللغة العربية، وغيرها من المؤلفات التي كان أصحابها منخرطين في مشروع النهضة العربية، فجاؤوا بمصنفات تتراوح بين شرح الكتب البلاغية القديمة وتدريسها، وعلى رأسها كتاب الكامل للمبرد، ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني، ومقامات بديع الزمان الهمداني، وأضرابها من كتب القدماء، أو التأليف، كما مثلنا له أعلاه.

كما نحيل على المقال الشهير الذي ألقاه الدكتور طه حسين في مؤتمر جماعة المستشرقين الثامن عشر المنعقد في لندن عام 1931 بعنوان: البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر الجرجاني. والمقال منشور في مقدمة كتاب نقد النثر المنسوب لقدامة بن جعفر.

[2] نشير هنا إلى المحاولات المبكرة التي أنجزها الأستاذ الأزهر الزناد في كتابيه: دروس في البلاغة العربية، ونسيج النص. وهما محاولتان جادتان وسبّاقتان في توظيف مبادئ اللسانيات البنيوية في دراسة البلاغة العربية، وبعثها في ثوب جديد يستفيد من ثورة العلوم الإنسانية في مجال دراسة اللغة.

[3] نحيل هنا على كتابه المهم: البلاغة تطور وتاريخ، حاول فيه تتبع مسار تطور النظر البلاغي عند العرب القدماء، معتمدا المنهج التاريخي كما توصلت إليه النظرية الغربية. وما تميز به عمل شوقي ضيف، أنه وصل نشأة البلاغة العربية وتطورها بالأدب، والبيئات التي اهتمت بها، لما لمرجعية ذلك كله من أهمية في توجيه مباحثها، وتأطير قراءتها.

[4] الإشارة هنا إلى دراسته الرائدة في تجديد الدرس البلاغي، تطوّر التفكير البلاغي عند العرب. وقد ألهمت هاته الدراسة عددا كبيرا من الباحثين في العالم العربي، لما اتصفت به من الجدّة والابتكار التأويلي.

[5] انخرط الأستاذ محمد العمري انخراطا واسعا في دراسة الحقل البلاغي، محمّلا بهم تجديده، وتخليصه من القراءة التقنينية التي كانت سائدة في دراسة البلاغة العربية القديمة وتدريسها. حيث حاول الاستفادة من المنجز الغربي في دراسته للخطابية الأرسطية كما كان بيرلمان وتيتيكا، وبارت، وأوليفي روبول، وغيرهم، في سبيل وضع نظرية في البلاغة العامة. وهو ما تعكسه مؤلفاته انطلاقا من بلاغة الخطاب الإقناعي، ومرورا بمؤلفه الرائد البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إلى غير ذلك من المؤلفات: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، وأسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة.

وجدير بالذكر أن مشروع الأستاذ محمد العمري قد لقي تلقيا كبيرا في الأوساط الأكاديمية، وهو ما تعكسه المصنفات العربية المعاصرة للحقل البلاغي من منظور تداولي، وما صارت تضمه المكتبة العربية من مؤلفات في النظرية الحجاجية وتطبيقاتها على أجناس الخطاب. ناهينا عن تزايد عدد الباحثين في مجال التداوليات والحجاجيات، ونمثّل هنا بمشروع محمد مشبال، ومحمد الولي، والحسين بنوهاشم، وعادل عبد اللطيف، وعماد عبد اللطيف، وسعيد العوادي... وغيرهم من الباحثين ممن يضيق المجال ن ذكرهم، وقد رسمو مسارات متشعبة في تطوير الحقل البلاغي، باستثمار ما تتيحه العلوم الإنسانية من آفاق معرفية، وإبدالات في قراءة المنجز البلاغي العربي والغربي على حد سواء.

النصية عند البحث في آليات التعبير عن المعاني الثاوية في النفس، أو سبل التأثير في المستمع عن طريق استخدام الكلام، أو الوصول إلى إمكانات تأويل الخطابات تأويلات نابعة من أساليب استعمال اللغة.

يدل الاهتمام بوضع مفهوم للبلاغة على أهمية هذا الحقل المعرفي في حياتنا المعاصرة، لاسيما أننا صرنا نعيش في عصر بلاغي بامتياز، تتعدد فيه أشكال حضور البلاغة، وأساليب توظيفها، كمثل ما هو في الإشهار، وفي الصحافة، وفي التلفزيون، وفي الشعارات، وعالم الميديا والمؤثرين، مما يدل دلالة قاطعة على أن البلاغة امبراطورية مترامية الأطراف، تحضر في أجناس الخطاب كلها.

غير أن البحث في البنيات الدالة والدلالية والتداولية للخطابات يحيلنا على أن للبلاغة صورا مختلفة، وتشكيلات متغايرة فيها عنها، أي البلاغة، تراعي تمام المراعاة، طبيعة الخطاب، ونمطه، وأساليبه التعبيرية، لتتسلل إليه خفية، وتنبسط على مكوناته جميعها. ويرجع هذا إلى " تمتعها بخصيصتين تلازمانها؛ الأولى قدرتها السحرية على التكيف؛ فالبلاغة تتسع، وتضيق، تغيّر وجوهها، وتنوع منهجياتها، وتطور مقارباتها طوال الوقت لتستجيب لتحديات زمنها. أما الخصيصة الانية فهي اقتران البلاغة بما لا وجود للبشر دونه؛ أي العلامات اللغوية وغير اللغوية التي تنجز الإقناع والتأثير والجمال"[1]من هنا، كانت البلاغة عسيرة الإحاطة، وصعبة التحديد.

لن نخوض في هذا المستوى من الدراسة في محاولة وضع صورة عامة للبلاغة كما تم طرحها أعلاه، وإنما سنعود إلى الوراء، التزاما بصيغة الاستفهام التي يطرحها العنوان، إلى المنظور العربي القديم لكلمة "بلاغة". لا يعني هذا أننا نرمي إلى وضع تأريخ لهذه الكلمة، ولوجوه تطورها في التراث العربي الإسلامي، وإنما الغرض هو الكشف عن الأنساق الذهنية التي تحكمت في هاته الكلمة، وساهمت مساهمة مباشرة في اختلاف فهمها، وبالتالي الاشتغال بها، من خلال إعادة قراءة تاريخها، تركيزا على اهتمامها بالكلام المؤثر.

لم تكن البلاغة في التراث العربي أحسن حالا من قرينتها الغربية؛ فقد عرفت مجموعة من الاختلافات وصنوفا من المغايرة على صعيدي الفهم والتفسير. ويعود هذا إلى تداخلها مع علوم العربية، وتأثيرها فيها، ثم تأثرها بها، مما جعل مفهومها "يتغير بحسب الثقافات والحقب:

[1] عماد عبد اللطيف، البلاغة العربية الجديدة مسارات ومقاربات، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، 2021، ص 17.

فمفهومها عند الجاحظ وابن سنان الخفاجي، مثلا، بعيد كل البعد عن مفهومها عند الجرجاني والسكاكي، ومفهومها عند كل هؤلاء (أي إلى حدود القرن السادس الهجري) بعيد عن مفهومها عند الصلاح الصفدي، وابن حجة وغيرهما من بلاغيي العصور المتأخرة"[1].

إن اختلاف مفهوم البلاغة في التراث العربي يعكس، بالضرورة، اختلاف تصور طبيعتها، وآليات الاشتغال بها، وممارستها الخطابية. ناهينا عن اشتمال هذا الاختلاف على زئبقية هذا لمفهوم، وصعوبة الإمساك بتلابيبه، تبعا لتنوع مرجعيات المهتمين به، وتعدد الحقول المعرفة التي يرتبط بها. ومن الأمثلة الدالة على هذا الرأي، إشارة مصطفى الصاوي الجويني إلى أن هناك أبوابا" ينبغي استخلاصها من علم النحو وإدراجها في علم المعاني، وهي تلك الأبواب التي يمكن تجريدها تجريدا جماليا في مواطن الاستخدام الأدبي"[2]، في سبيل إقامة بلاغة تطبيقية تستمد أصولها من علم النحو الذي ساهم في تطوير مصطلحاتها، وساهمت في بناء نظريته في دراسة اللغة. زد على هذا أن موضوعات البلاغة تتداخل مع الحديث والكلام، ومن ذلك أن " موضوع الخبر يرجع فيه إلى علم الحديث، ففي الحديث صادق وكاذب[3]، كما يرجع أيضا إلى علم الكلام"[4]. ولا نستثني، هنا، الإنشاء، وهو يرتبط بوحدة الوجود، بالخالق، والخلق، مما هو مندرج في موضوعات الفقه وأصول الدين. وهو مشروع تصدى له كثير من الباحثين، ولا تكاد مكتبة بلاغية تخلو منه، بوصفه يصور بعضا من عوامل تطور البلاغة العربية، ومساراتها النظرية ووجوه استعمالها، والتعامل معها.

لم يكن تداخل البلاغة مع العلوم العربية الأمر الوحيد المسؤول عن غموض مفهومها، واستعصائه على التغيير. بل يضاف إليه سبب لا يقل أهمية عن هذا الأمر، وهو تصدي علماء هاته الحقول المعرفية أنفسهم إلى تقديم اجتهادات، وتطبيقات عملية في علومها. دون أن يقف ذلك عند هاته الحدود، بل يصير بعضها من مرتكزات النظرية، وأساسا من أسس العلم، سواء ما هو متعلق منها بالبيان أم ما كان منصرفا إلى علم المعاني، أو ما كان واقعا تحت علم البديع. ودون

[1] محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، دراسات وحوارات، أفريقيا الشرق، 2013، ص 11.

[2] مصطفى الصاوي الجويني، البلاغة العربية تأصيل وتجديد، منشأة المعارف بالأسكندرية، 1985، ص 70.

[3] لعل المصنِّف يقصد بالحديث الصادق والكاذب الحديث الصحيح، والحديث الموضوع. ينظر في هذا السياق كتاب ابن حجر العسقلاني، نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، ومقدمة ابن الصلاح بتحقيق عائشة عبد الرحمان، منشورات دار المعارف بمصر، سلسلة الذخائر، لمن أراد التوسع.

[4] المرجع نفسه، ص 70.

أن نغفل تداخل هاته المباحث الثلاثة فيما بينها، بل وتَسمّي البلاغة بمسمياتها في بعض محطاتها التاريخية، حين كانت ترادف البيان تارة، وآلت لتعرف بالبديع تارة أخرى.

إذا كان هذا هو حال الدرس البلاغي في عموميته، ومعه الممارسة البلاغية في خصوصياتها، أي تبعا لطبيعة الخطاب الذي تتحقق فيه، أو ترمي إلى بنائه، فما هي اللحظات الحاسمة التي ظهرت فيها انفصالات التصور البلاغي، وصارت البلاغة منكفئة على نفسها، وقائمة بذاتها، داخل إطار منغلق يمنع تسرب المغاير عنها إليها، أو اختلاطه بها؟ لابد أن الجواب عن هذا السؤال لا يجد ضالته إلا في التعاريف العربية القديمة المتفرقة في مصنفات القدماء، والتي حاول من خلالها أصحابها عرض فهمهم لكلمة "بلاغة" دون الاكتفاء بما هو متداول في الجو العلمي الذي كان هؤلاء يروجون فيه؛ أي أن تعريف هؤلاء للبلاغة، كما نرى، لم يتحقق إلا في لحظة الإحساس بقصور ما هو رائج من تعريفات لهذه الكلمة المفصلية في هذا الحقل، وأنه متى أحس العالم بقصور تعريف، أو عدم إحاطته بالمطلب المراد تعريفه، عمد إلى وضع تعريف مناسب، يناسب فهمه الخاص، ويكشف بالتالي تصوره الشخصي لها، كما يعكس التعريف المنحنى الزمني الذي يمثل اللحظة المفصلية في تحقق الإبدال المفهومي، وتغير الذهنية البلاغية، فهما وممارسة.

إن ما نرمي إلى إظهاره في هذا السياق، هو أن فهم البلاغة عند القدماء لم يكن فهما مرتبطا بتقدم الزمن، ولا رهينا باختلاف الأقطار التي كان المهتمون بها يقيمون فيها. وإنّما نجد في عصر واحد، وفي القطر نفسه حضور تصورين للبلاغة، يتعايشان جنبا إلى جنب، أو يتصادمان على الدوام، دون أن يختلطا مع بعضهما البعض، كما سيأتي لاحقا، بل وعند العام الواحد حضورا لبلاغتين، وعناية بهما بوصفهما صورتين متوازيتين لاستعمال اللغة، تتميز كل واحدة منهما عن شقيقتها. ويدل هذا التعايش، في صيغتيه التوافقية، أو الصدامية، على تشعب الذهنيات العربية، وتنوع اهتماماتها ليس مع تقدم الزمن فقط، وإنما داخل الفضاء الثقافي الواحد.

أ- المتكلم: البلاغة إفهام بياني:

ارتبطت البلاغة أول أمرها بالقدرة على استعمال الكلام، والتفوق في اختيار المناسب منه في تأليفه، مع التمكن من التعبير عن المعاني الكامنة في النفس من خلال القدرة على " وصف الشيء بالغاية مما يليق، وتوخي أحسن ما في اللغة من اللفظ، وأقربه إلى أفهام المستمعين"[1]، إنها علم

---

[1] علي بن خلف الكاتب، مواد البيان، تحقيق حسين عبد اللطيف، منشورات جامع فاتح، طرابلس، 1982، ص ص 96-97.

يكفل تعليم المتكلم سبل توظيف اللغة توظيفا يراعي فيه سياق التخاطب، وأداء الكلام أمام جمهور معين بغرض تحريك نوازعه، والتحكم في قراراته. إنها مرتبطة، في هذا المقام بالتداول، والتفاعل الخطابي بين طرفين. ولا عجب أن يكون هذا هو تعريف الجاحظ(ت255هـ) لها، فيما أورده الباقلاني(ت403هـ) في إعجازه، حين أورد انها مرتبطة بـ" التماس حسن الموقع، والمعرفة بساعات القول، وقلة الخُرق بما التمس من المعاني، أو غمض وشرد من اللفظ وتعذر. وزينته أن تكون الشمائل موزونة والألفاظ معدّلة، واللهجة نقية، ألا يكلّم سيد الأمة بكلام الأمة، ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة، ولا يدقق المعاني كل التدقيق، ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح، ولا يصفيها كل التصفية، ولا يهذبها بغاية التهذيب"[1]. ينسجم فهم الجاحظ للبلاغة تمام الانسجام مع تصور أفلاطون، فكلاهما يريان أن البلاغة علم مهمته:

- إجادة استعمال اللغة.
- مراعاة سياق القول.
- حسن توظيف اللغة.

غير أن تعريفها عند الجاحظ جاء مزوّدا بشيء من التوضيح والتفصيل، مع بعض الإضافات التي استنبطها من طول تنخيله للخطابة العربية، وخطباء العرب، وهي:

- الحرص على توازي العبارات اللغوية.
- مراعاة اللهجة الموافقة للموضوع.
- تقدير درجات المخاطبين[2].
- ترك التكلف والتصنيع.

لقد أضاف الجاحظ هاته الإضافات ليتسع بها حقل البلاغة العربية، وتضير متضمنة لمهام جديدة لم تكن منوطة بها عند الأول. وهو ما سيجد صداه عند غير الجاحظ، ونقصد هنا المبرد (ت275هـ) الذي كانت عنده البلاغة آلة لمعرفة سبل" إحاطة القول بالمعنى، واختيار الكلام،

[1] الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، دت، دط، ص 127.

[2] لابد أن نشير هنا إلى جهود الجاحظ في سبيل وضع مفاهيم لبلاغة المقام، وتأسيسه لمشروع قائم الذات لهاته البلاغة. نرجو أن نتوفق في إصدار مقال يوضح معالمه، وأهم ما يتعلق به.

وحسن النظم، حتى تكون الكلمة مقاربة أختها، ومعاضدة شكلها، وأن يقرَّبَ بها البعيد، ويحذف منها الفضول"[1]. وهو في هذا وفي لفهم الجاحظ الذي كثيرا ما اختلف معه، وعارضه.

يمكن أن ننتهي من خلال هذا الفهم الخاص أن البلاغة هي فن يُعنى بتوضيح آليات تنظيم منتج الخطاب لكلامه في سياق يتوجه فيه إلى جمهور بعينه، مع الاحتراز من استعمال الكلام في غير ما يناسب المقام. إن مدار هاته البلاغة على المتكلم، بوصفه منتج الخطاب. ولا غرابة في أن يكون هذا هو حال البلاغة في هذا المستوى، وقد كانت مرجعية أصحابها متشبعة بنماذج من المتكلم البليغ الذي صيّرته ثقافة هؤلاء تمثالا يعكف على عبادته والاهتداء بهديه كل من أراد سلك سبل الكلام، أو التعبير عن فيض الخواطر، من هنا جعل هذا الفهم حظها " ألا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع"[2]. أضف إلى هذا أن المدونة النصية التي ساهمت في تنظيم قواعد القول هي مدونة شفهية كان يراعى فيها الشاعر والخطيب وهما يلقيان على مسامع الجمهور ما يؤثر فيه، ويحرك نوازعه انطلاقا مما تواضعت على معرفته القبيلة، وتبعا للقيم العربية المتداولة عند العرب.

إذا كان المتكلم، شاعرا أو خطيبا أو مناظرا، يصدح في مقوله بما تعرفه الجماعة، وما تؤمن به، فإن صوته شيء "آخر يتجاوز الكلام. فهو ينقل الكلام وما يعجز عن نقله الكلام، وبخاصة المكتوب. وفي هذا ما يدل على عمق العلاقة وغناها وتعقدها بين الصوت والكلام، وبين الشاعر وصوته. إنها علاقة بين فردية الذات التي يتعذر الكشف عن أعماقها، وحضور الصوت الذي يتعذر تحديده. وحين نسمع الكلام نشيدا، لا نسمع الحروف وحدها، وإنما نسمع كذلك، الكيان الذي ينطق بها، نسمع ما يتجاوز الجسد إلى فضاء الروح. وليس الدال هنا، في كلمة بذاتها معزولة، بل في الكلمة مقرونة بالصوت، في الكلمة-الموسيقى، الكلمة-النشيد"[3]. وهكذا كان التركيز في الكلام، لا على محموله، وقد كان متداولا، أو معانيه وقد كانت مطروحة في الطريق، يعرفها القصيّ والدني، وإنما الشأن والمعول فيها على المنتج الذي يستعمل الكلام استعمال يلتزم فيه بوحدة القول، ويعدد أشكال المقول.

---

[1] المبرد، البلاغة، تحقيق وتقديم رمضان عبد التاب، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، ط2، 1985، ص 81.

[2] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد قرقزان، دار المعرفة-بيروت، ط1، 1988، ج1، ص 425.

[3] أدونيس، الشعرية العربية، دار الآداب بيروت، ط2، 1989، ص ص 5-6.

لم يكن تصور البلاغة، في هذا المنحى، متجاوزا للواقع النصي، أو متعاليا عن ضروب القول التي كان يطرقها الإنسان العربي في بيئته السماعية بالأساس. من هنا، كانت البلاغة، في نظر هذا التيار، بلاغة إفهام وبيان، ترتبط بالكلام من جهة قائله، لا تشدها إغراءات التنظير، ولا ترف النشاط الفلسفي الذي تسرب على الحضارة العربية جراء الانفتاح الثقافي على الآخر اليوناني. لقد ظل الجاحظ، وهو بالمناسبة رائد هذا التيار، ومن جرى جريه، على وفاء تام لطبيعة المتن العربي في صيغه الجاهلية والإسلامية، بوصفها تمثل المعيار النصي الذي تبلورت من خلاله علوم العربية، ناهينا عن انبعاثه ن الذات العربية الخالصة التي لم يعكر كيانها ذلك الغريب الذي ذاب في أثنائه، وسرى في ثناياها بعد انبساط الدين الجديد على ثقافتها.

وبالتالي، فالبليغ، عند أصحاب هذا الفهم، كل من يشتغل بالقول، ويملك القدرة على أن "يوجز الكلام ويختصره"[1]. ويكون استعماله للكلام في سبيل إفهام الحاجة وإيضاحها " من غير إعادة ولا حبسة، ولا استعانة"[2] أو أي تكأة يجتلبها. ومما تفرضه البلاغة على المتكلم عند توجّهه إلى جمهور معين، أن يكون قادرا على تصريف الكلام، والتصرف في خطابه أثناء الإلقاء، " يجتني من الألفاظ أنوارها، ومن المعاني ثمارها"[3]، أن تأتي في أثناء ذلك " من الكلام ما يُحتاج إليه، وتدع ما يستغنى عنه"[4].

لقد ارتبطت هاته البلاغة ارتباطا وثيقا بالبيان الذي كان وإياها وجهين لعملة واحدة. لهذا، فهي الإيضاح[5] عند بعض هؤلاء، و" الكشف عن المعنى حتى تدركه النفس من غير عُقْلة"[6]، وهي تتميز بأنها" المنطق الفصيح المعرب عمّا في الضمير"[7]، الشرط فيها أن يكون القول يحيط بمعناك،

---

[1] علي بن خلف، مواد البيان، ص 97.

[2] ابن رشيق، العمدة، ج1، ص 387.

[3] أبو إسحاق الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ضبط زكي مبارك، دار الجيل- بيروت، ط4، 1972، ج1، ص 160

[4] أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، دار الثقافة-بيروت، 1973، ج7، ص 265.

[5] أبو حيان التوحيدي، المقابسات، تحقيق محمد توفيق حسن، دار الأدب-بيروت، ط2، 1989، ص202.

[6] القيرواني، العمدة، ج1، ص 437.

[7] جار الله الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، دط، دت، ج4، ص 47.

ويكشف عن مغزاك، ويخرجه من الشركة، ولا يستعين عليه بالكثرة، والذي لا بد منه أن يكون سليما من التكلف، بعيدا من الصنعة، بريئا من التعقيد، غنيا عن التأويل"[1] .

ب- الخطاب: البلاغة وجوهُ بناء النص:

نشأت إلى جانب البلاغة التي تعنى بالمتكلم بلاغة أخرى تركز اهتمامها على فحص النص الأدبي، وغير الأدبي، بحثا عن استراتيجياته في التأثير في المتلقي. لقد قصرت هاته البلاغة اهتمامها على عمود الكلام، تطلب النظام الذي تخضع له أجناس الخطاب. وتبعا لهذا المطلب، ارتبطت البلاغة " برصد خصوصيات النص أو الخطاب التعبيرية، لأجل صياغة مبادئ بلاغية نوعية. ولا شك أن مثل هذا العمل ينطوي على رغبة في اختراق مبدأ التعميم وتحويل البلاغة من التفسير النسقي المجرد إلى مواكبة مختلف البلاغات التي تفرزها النصوص والأنواع"[2] الخطابية. ونجد هاته البلاغة واضحة المعالم ضمن مصنف أبي هلال العسكري(ت395هـ)، حيث " البلاغة من صفة الكلام لا من صفة المتكلم"[3]، وهي بالتالي مجموع القوانين التي يرومها النص/الخطاب لإبلاغ المتلقي ما يتضمنه انطلاقا من اعتماد مجموعة من المكونات اللغوية البنائية.

اتجهت هاته البلاغة إلى الأدب من حيث هو أدب، تستقصي أشكال الحسن، وضروب الإجادة، ومكامن الجودة في الأنواع الأدبية. إنها تنطلق مما هو ماثل في النص عبر ألفاظه التي " يعبر بها عن المعاني، فمنها ما يكون في النظم، ومنها ما يكون في النثر، ويكون في المكاتبة والرسائل، والخطب والتشبيهات، والأوصاف وفي السؤال والجواب وغير ذلك"[4] مما يستثمره الكلام لتحقيق اتساقه التركيبي، وانسجامه الدلالي. إن مدار هذه البلاغة هو العلامات اللغوية التي تتميز بها الخطابات، وتجعل النصوص متميزة عن بعضها. مع التركيز على المظاهر البنائية التي تحقق هاته الخطابات، وتجعلها معبّرة " تُبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع

---

[1] أبو إسحاق الحصري، زهر الآداب، ج1، ص ص 150-151.

[2] محمد مشبال، البلاغة والأدب من صور اللغة إلى صور الخطاب، دار العين للنشر، ط1، 2010، ص 34.

[3] أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1986، ص 6.

[4] أبو الحسن العسكري، التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم، حمد بن ناصر الدخيل، نادي القصيم الأدبي في بريدة، ط1، 1998، ص313.

صورة مقبولة ومعرض حسن. وإنما جعلنا حسن المعرض وقبول الصورة شرطا في البلاغة؛ لأن الكلام إذا كانت عبارته رثة ومعرضه خلَقا لم يسمّ بليغا، وإن كان مفهوم المعنى مكشوف المغزى"[1].

تميزت هاته البلاغة عن شقيقتها الكبرى بفصلها بين الأجناس الخطابية، فهي تنطلق من وجود نصوص متجاورة ومنفصلة ن بعضها، ما يصلح لبعضها لا يصلح، بالضرورة، للبعض الآخر. تحت ظل هذا التمييز، راحت تميز بين درجات الخطابات، لتبحث في خصوصيات كل خطاب على حدة، وكانت، بذلك، " على ثلاث طبقات: منها ما هو أعلى طبقة، ومنها ما هو في أدنى طبقة، ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة، فما كان في أعلاها طبقة فهو معجز، وهو بلاغة القرآن، وما كان منها دون ذلك فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس، وليست البلاغة إفهام المعنى لأنه قد يفهم المعنى متكلمان أحدهما بليغ والآخر عيّ، ولا البلاغة أيضا بتحقيق اللفظ على المعنى. لأنه قد يحقق اللفظ على المعنى وهو غث مستكره ونافر متكلف، وإنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في حسن صورة من اللفظ"[2].

إن ما يدخل في مبحث الإعجاز، وبلاغة الخطاب الشرعي، وما هو مندرج ضمن عمود الشعر، وبلاغة الخطاب الشعر، وما يروج من مبادئ أدب الكاتب، والنادرة، والخبر، وضروب السرد العربي القديم تندرج ضمن دائرة اهتمام هاته البلاغة. فهي تروم تحديد طبيعة كل جنس تخاطبي، والطبقة التي ينتمي إليها من الكلام. وهكذا، تُبرر هاته الترتيبات التي نهجها الرماني (ت 386هـ) في تعريفه للبلاغة، ويُفهم منها أنها فن قائم على تتبع حضورها " في وجوه كثيرة؛ منها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون شعرا، ومنها ما يكون سجعا، ومنها ما يكون خطبا، وربما كانت رسائل"[3].

يمكن أن ننصرف إلى أن البلاغة علم الأجناس الأدبية، ويرجع هذا إلى تركيزها على أصناف التعبير التي يتوسلها كل جنس، مع تسميتها لهاته الأصناف على اختلافها، من غير أن تقف عند هذا المستوى الوصفي، بل نجدها تتعداه إلى تحديد الوظيفة التأثيرية والانفعالية التي تجتلبها تلك الأصناف إلى نفوس المتلقين، سواء المباشرين أم المضمرين. من هنا، كانت البلاغة "في تصور هؤلاء

---

[1] أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 12.

[2] الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق وتعليق محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلال دار المعارف بمصر، القاهرة، سلسلة ذخائر العرب، رقم 16، ط2، 1968، ص 69.

[3] أبو هلال العسكري الصناعتين، ص 14.

مجموعة من العمليات التي يتم إجراؤها على اللغة؛ وليست هذه العمليات سوى أشكال الانزياح التي يجريها البلاغي في خطاب لغوي معياري يفترض أنه [...] يتوخى أي دلالات أو تأثيرات مخصوصة"[1] يلجأ إليها منتج الخطاب. وعليه، يكون الخطاب البلاغي خاضعا لقوانين علوم العربية، ينزاح عنها لضيف صيغا أسلوبية تتجاوز القواعد دون أن تخالفها.

ذهب الأستاذ محمد العمري إلى أنّ هاته البلاغة كانت تتغذى " من الملاحظات العفوية (الذوقية) والقراءات التطبيقية (الشروح) والخصومات الأدبية (الشعرية)، ويغذي الكتبَ المنظِّرة للنقد الأدبي. بل إنه غذى أيضا كتب الإعجاز التي حاولت تأويله وتنظيمه ليستوعب البلاغة القرآنية ابتداء من الرماني والباقلاني وصولا إلى عبد القاهر الجرجاني [...]وفي هذا السياق الإعجازي الخطابي أخذ البديع صفة بلاغة"[2]، وعاب عليها أنّها لا تخوض في الأبعاد المقامية التي يطرحها الخطاب، ولا تلك المتعلقة بخصائصه الحجاجية[3].

ارتبطت هاته البلاغة بالبديع، وكانا موضوعا واحدا، وبه، فالبلاغة في هذا السياق تعبِّر عن "محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ، بشرط أن يجيء مطبوعا، أو يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده"[4]. إنها تركز على " وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية المطابقة، ووضوح الدلالة"[5]. هاته البلاغة التي تستمد وجودها من شعرية أرسطو، وبالتحديد في سياق عنايته باللغة بوصفها مجال الأدب، والمادة التي يتألف منها. وهكذا، "يمكن النظر إليها من مستويين: مستوى اللغة العادية التي يكون هدفها هو التواصل بين الناس، بمعنى أنها وسيلة أو أداة إذا نظر إليها في سياق نشاط مجتمع ما. ومستوى اللغة الشعرية التي تعد غاية في ذاتها"[6]، يرجع إليها منتج الخطاب بغرض خلق صور تعبيرية جديدة انطلاقا من استعمال اللغة على غير ما وضعت له في الأصل؛ أي كما أجمع عليها سدنة اللغة من النحويين وفقهاء اللغة.

---

[1] محمد مشبال، البلاغة والأدب، ص 59.

[2] محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص 33.

[3] نستثني هنا توجه القرطاجني في منهاجه، وهو بالفعل استثناء حقيقي بلغ صابه حدّ وضع مشروع في البلاغة العامة وتحليل الخطابين الإمتاعي، والإقناعي من زوايا الخطاب نفسه، منتج هذا الخطاب، وأيضا متلقيه.

[4] جار الله الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 144.

[5] جلال الدين السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1988، ج1، ص 283.

[6] بوشعيب منصر، الشعر والخطابة بين أرسطو وابن رشد، أفريقيا الشرق، ط1، 2015، ص 125.

ج- بلاغة مهذبة: في سبيل تهذيب النظرية:

عاشت بعد هاتين البلاغين، وقريبا منهما، بلاغة مهذبة، حبّ للباحثين المحدثين تسميتها بأسماء شتى، منها البلاغة المختزلة، والبلاغة المأسورة، والبلاغة المدرسية، والبلاغة الجامدة، والبلاغة المحنطة، إلى غير ذلك من الصفات والأسماء التي علقها هؤلاء على هاته البلاغة، وعلى جهود أصحابها. ويتعلق الأمر هنا بالتيار التهذيبي الذي دشنه فخر الرازي (تـ 606هـ) في نهاية الإيجاز[1] الذي عمل، كما هو واضح من عنوان الكتاب، على تقديم عمل موجز للدرس البلاغي يخلصه منكل ما يشوبه من استطرادات العلماء، وتطويلات المنظرين للبلاغة ممن سبقوه. إلا أن هذا الجهد، وهو الأمر المستغرب، لم يلق من القبول في الوسط العلمي المعاصر. بل إن الأمر لم يقف عند حدود الرفض، وإنما تعدى دارسو البلاغة هذا إلى الهجوم، بكل استماتة، على هذا التيار البلاغي. فقد ذهب الدكتور شوقي ضيف إلى أنها بلاغة " شاع فيها العقم، وعجل به استقلال مباحثها عن الأدب، فإذا هي تصبح مجموعة من القواعد الجافة كقواعد النحو والصف، فالأساتذة يدرسونها لتلامذتهم، وقد يؤلفون فيها، دون عناية بالنصوص إلا ما يجلبونه من لدن عبد القاهر والزمخشري. ولا نظن أنهم يحتفظون بتحليلاتهما البديعة لنصوص الشعر والنثر وآي الذكر"[2] مما تعرضه بلاغة وجوه بناء الخطاب.

ولم يكن السكاكي (تـ626هـ) في مفتاح العلوم أكثر حظا، إذ ذهب الدكتور محمد العمري إلى أن الخطوة الواسعة لمسلسل اختزال البلاغة العربية كانت مع السكاكي، ثم بلغت قوتها بعده، وبالتحديد من خلال مصنفات القزويني وشراحه. وقد تمثل اختزال هؤلاء، حسب الأستاذ العمري، في " إخراج البلاغة من مجال الذوق والممارسة النصية إلى مجال التقعيد النظري الجاف الذي غلبت عليه القوالب المنطقية والأمثلة المصنوعة المكرورة"[3].

هذان إذن، هما التصوران المعاصران لما نصطلح عليه هنا بالبلاغة المهذبة، ومهما يمثلان جملة الأصوات الرافضة لهذ التيار التي لا تخرج عن أحديهما إلا في بعض التشقيقات، أو التلوينات التعبيرية ن الفكرة نفسها. ولا بد من أن نشير إلى اتفاقنا مع جزء من هذين التصورين، وليس كلية. فقد نتفق مع الدكتور ضيف فيما هو مرتبط بالمنهج، حيث استقل هذا التيار بنفسه،

---

[1] فخر الدين الراز، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق ودراسة بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين-بيروت، ط1، 1985.

[2] شوقي ضيف، الباغة تطور وتاريخ، دار المعارف، ط9، 1995، ص 272.

[3] محمد العمري، المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة، مواجهة بين زمن الجرجاني وزن القزويني، أفريقيا الشرق، ط1، 2017، ص 17.

ولم يعد ينخرط انخراطا مباشرا في مقاربة النصوص الأدبية؛ فقد اعتاد تيار بلاغة الوجوه على مقاربة النصوص في استنباط آليات المحسنات النصية، والسمات البلاغية المميزة للأجناس الخطابية. إلا أن وضع قانون أو استخلاص قاعدة تنظم العلم، وتوجه القارئ المبتدئ لا يعني بالضرورة أنه جمود أو لوثة أصابت العقل البلاغي الخاص بهذا التيار.

أضف أن توسل الأساتذة بترسانة المصطلحات البلاغية، كما قننها هذا التيار، تسعى إلى تقديم مفاتيح العلم، والمداخل الأولية لتحليل لغة الخطاب. إذ كيف للباحث المقبل على العلم، أي علم، أن يقتحم مفاصله، ويلج تفاصيله، دون التعرف على المفاهيم النظرية والإجرائية التي تخص العلم. ونضيف أيضا أن شكل الكتابة، عبر التاريخ، لم يأخذ صورة واحدة، سواء تعلق الأمر بالإبداع، أم بالنظر.

كما نضيف أن مهمة البلاغة، لا تقتصر على تنمية الذوق الفني، هذا إن كانت هاته مهمتها، إذ الاتصال المباشر بالنصوص الفنية هو الذي يشكل الذائقة، وينمي الغريزة، ويوجه الحساسية الفنية التي تتغير، بالضرورة، عبر مر الزمن، والوضعية التاريخية والاجتماعية والثقافية التي تظهر فيها النصوص، ومرجعيات تلقيها. كما أننا نشير إلى الأهمية الكبيرة التي مثلها هذا التيار، وقد تمثلت في تنظيم المفاهيم البلاغية، وترتيبها في مباحث، وتوجيه القارئ إلى نوع المقاربة، والباب الذي تندرج فيه.

وقد أشار الأستاذ محمد العمري إلى أهمية هاته المصنفات، من خلال حديثه عن "مفتاح العلوم، ووظائفه الثلاث " متصاعدة من حيث القيمة:

- المستوى الأول: مداه وحدوده معرفة بعض القواعد والمصطلحات، دون معاناة النصوص. وهذا غرض طارئ (جاء مع عملية التأليف والبحث). هذا المستوى أعلى قليلا من مستوى رفع الأمية.

- مستوى أوسط: هو مستوى إنتاج النصوص الأدبية السليمة عبارة، المناسبة حجاجا. وهذا هو الغرض الأقدم من علم الأدب في نظره. مفهوم أقرب من مفهوم الثقافة والمثقف.

- مستوى أعلى: وهو مستوى تلقي المراد من الكلام وتأويله: (تلقي مراد الله تعالى من كلامه، أي المستوى التأويلي). وتحتاج كلمة أمامه كلمات أكثر رواجا من قبيل الفهم والتأويل، فتجنبها واختار التلقي.

لا شك أن الوظيفة الأولى تعتبر تحصيل حاصل عند السكاكي، أو شيئا ثانويا، في حين ينصرف اهتمامه إلى الغرض الأقدم من الأدب، أي إنتاج الخطاب، وإلى الغرض الأسمى، (أي وصف الخطاب وتأويله)"[1].

إن البلاغة عند أصحاب التيار التهذيبي ليست نظرية في اللغة، ولا منهجا في تحليل الخطابات، كما يتصور ذلك التياران الأولان، وإنما هي علم آلة يجاور علوم العربية المتعددة، الصرف، والنحو، والفقه، والعروض، والقوافي، وصنعة الشعر، والأخبار، والأنساب، مما يكوّن ثقافة القارئ العربي المجتهد إبّانئذ. وتبعا لذا الفهم، راح رؤوس البلاغة التهذيبية، إلى تبويب النظرية البلاغية التي وصلتهم في مصنفات متفرقة ومشتتة، وانبروا إلى تحديد الأدوات لإجرائية الواقعة تحت كل باب.

زد على هذا، تخليصها التصنيف العربي من القراءة الانطلاقية وأصناف التداعي الحر التي لا تراعي طبيعة المفهوم، ولا المفاهيم المجاورة له، وإنما تنتقل من حديثها عن الاستعارة في النص إلى التكرار، ومنه إلى الالتفات، مما يخلق ضربا من التداخل المنهجي، والاخلاط المفاهيمي الذي من شأنه خلق صعوبة وتشويش في الاطلاع على أطروحات المدونة النظرية، ولعل هذا من أجل ما جاء تيار البلاغة التهذيبية لتخليص البلاغة منه، ومساعدتها على ضبط منهجها، وتوضيح مسالكها الإجرائية في تحلل أجناس الخطاب التي تتكفل بها.

إن ما يؤكد غنى هاته البلاغة، والحاجة إلى إعادة النظر في هاته الأحكام الموجهة لها، المحاولة النقدية الجادة التي أنجزها الأستاذ عبد الجليل ناظم، تحت عنوان: "البلاغة والسلطة في المغرب"[2]، وهو مصنف تصدى فيه المؤلف سؤال التلقي والتأويل في شرح الولالي، ثم آليات التواصل البياني في الخطاب الشارح، وحركية المعنى ضمنها، وموقع البنية التخييلية داخل الشرح. مما يعكس أهمية الشروح، وغناها بالأنساق الذهنية التي تعبر عن أشكال التفكير في لدرس البلاغي في مرحلة من مراحل التاريخ. وهو ليس الوحيد في هذا السياق، وإنما تنضاف إليه مجموعة من المصنفات الأخرى، كمثل المشروع النقدي الذي تصدى لدراسة "تلقي السكاكي في المغرب" لصاحبه عبد الوهاب الأزدي.

[1] محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص ص 48-49.

[2] عبد الجليل ناظم، البلاغة والسلطة في المغرب، أحمد بن محمد بن يعقوب الولالي، دار توبقال للنشر، ط1، 2002.

خاتمة

هكذا، يمكننا الانتهاء إلى أن البلاغة العربية بلاغات في حقيقة الأمر، عاشت في توافق بينها وبين نمط اشتغال العقل العربي؛ فهي بلاغة منتج الخطاب، تعبر عن ارتباط الخطاب بالسماع، وتأثير المتكلم في السامع إنشادا أو إلقاء. وإلى جانب هاته البلاغة عاشت بلاغة اهتمت بتتبع أوضاع البناء النصية للخطابات الإبداعية، وضروب تأثيرها الفني في السامع. على أن العقل البلاغي لم يقف عند هذا الحد، وإنما تعداه إلى خلق سبيل جديدة من التأليف، حيث عمد طرف ثالث من تياراتها إلى تهذيب النظرية، وتبويب مفاهيمها الإجرائية.

غير أن الدرس البلاغي سينفتح على أفق من التحليل حين العبور به من النظر البلاغي إلى التفكير في النظر البلاغي من خلال خطاب الشروح. وهو ما احتاج ردحا من الزمن ليظهر بتجلياته المميزة لخصوصيته النوعية داخل هذا الحقل المعرفي. وهو ما سيخلق رؤية جديدة للبلاغة يتحكم فيها السياق الثقافي للقراءة، وما يشغله الشارح من وظائف اجتماعية، تجعله تحت الرقابة، وتفرض على كتابته ضربا بعينه من الأيديولوجيا.

ثم إن أهم ما يمكن أن نضيفه في خاتمة هذا المقال، هو أن هاته التصورات المتعلق بالبلاغة، لم تكن متساوية الحضور في الساحة المعرفية، وإنما عرف كل اتجاه هيمنة وسطوة لفترة من الزمن، تنتهي بانتزاع البساط من تحت قدميه، ليتربع عليه اتجاه آخر، ويبسط نفوذه على مملكة البلاغة، في انتظار صعود جيل جديد يحمل تصورا مغايرا لها، ليزيحه عن مقعده يملأه بدلا منه. يعني هذا، أن تعايش التصورات البلاغية في الزمان والمكان نفسه، لم يكن يعني تساوي حضورها في الممارسة، والتأثير في الوسط الثقافي العربي.

كما اننا نؤكد على أن البلاغات العربية استطاعت أن ترسم لنفسها هوية خاصة ها. تعبر عن كيانها العربي، على الرغم من الاستفادة العظيمة من بلاغات الأمم المجاورة، بلاغة اليونان، والفرس، والهند، والصين، وما إليها من الأمم التي تسرب، بشكل أو بآخر بلاغتها إلى البلاغة العربية، وتركت بصمتها فيها. لقد تميزت البلاغة العربية بتنوع أسسها النظرية، كما يظهر أعلاه، حيث استطاعت أن تستفيد من التجارب السابقة عليها، دون أن تذوب فيها، أو تصير صدى لصوتها.

وعليه، لم تكن البلاغات العربية انعكاسا لقريبتها اليونانية، بل كيانا اجتمعت فيه كل تلك الأصول، أخذ في نهاية المطاف يعبر عن صور الخطاب اللغوي العربي، كما تعارف على استعمالها

الجمهور العالم. وما يحسب للبلاغات العربية أنها لم تلغ الأصول التي استمدت منها وجودها، ولا أقصتها في سياق الحديث عن نشأتها، إذ نجد كتب البلاغيين القدماء تزخر بالشواهد والإحالات على المرجعيات الأجنبية التي استفادت منها التجارب البلاغية العربية، رغم هيمنتها حضاريا، وسطوتها ثقافيا.

لائحة المصادر والمراجع

- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد قرقزان، دار المعرفة-بيروت، ط1، 1988.
- أبو إسحاق الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ضبط زكي مبارك، دار الجيل-بيروت، ط4، 1972.
- أبو الحسن العسكري، التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم، حمد بن ناصر الدخيل، نادي القصيم الأدبي في بريدة، ط1، 1998.
- أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، دار الثقافة-بيروت، 1973.
- أبو حيان التوحيدي، المقابسات، تحقيق محمد توفيق حسن، دار الأدب-بيروت، ط2، 1989.
- أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1986.
- أدونيس، الشعرية العربية، دار الآداب بيروت، ط2، 1989.
- الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، دت، دط.
- بوشعيب منصر، الشعر والخطابة بين أرسطو وابن رشد، أفريقيا الشرق، ط1، 2015.
- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق وتعليق محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلال دار المعارف بمصر، القاهرة، سلسلة ذخائر العرب، رقم 16، ط2، 1968.
- جار الله الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، دط، دت.
- جلال الدين السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1988.

- عبد الجليل ناظم، البلاغة والسلطة في المغرب، أحمد بن محمد بن يعقوب الولالي، دار توبقال للنشر، ط1، 2002.
- علي بن خلف الكاتب، مواد البيان، تحقيق حسين عبد اللطيف، منشورات جامع فاتح، طرابلس، 1982.
- عماد عبد اللطيف، البلاغة العربية الجديدة مسارات ومقاربات، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، 2021.
- فخر الدين الراز، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق ودراسة بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين-بيروت، ط1، 1985.
- المبرد، البلاغة، تحقيق وتقديم رمضان عبد التاب، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، ط2، 1985.
- محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، دراسات وحوارات، أفريقيا الشرق، 2013.
- محمد العمري، المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة، مواجهة بين زمن الجرجاني وزن القزويني، أفريقيا الشرق، ط1، 2017.
- محمد مشبال، البلاغة والأدب من صور اللغة إلى صور الخطاب، دار العين للنشر، ط1، 2010.
- مصطفى الصاوي الجويني، البلاغة العربية تأصيل وتجديد، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1985.